الواقع السوسيولغوي في الجزائر في ضوء هيمنة اللغة الفرنسية
-مقاربة بورديووية-

ا.د حسـان هشام زياني فتيحة باحثة دكتوراه
جامعة الجلفة

الملخص:

يهدف هذه المقال الى محاولة التوصل الى توصيف دقيق للواقع السوسيولغوي في الجزائر الذي تتجاذبه عدة لغات و لهجات ليست على نفس القدر من حيث القيمة الرمزية و الاستعمالات الاجتماعية في السوق اللغوية ، حيث تعد اللغة الفرنسية اللغة الأكثر حظوة باعتبارها لغة المجالات الحيوية من إدارة و اقتصاد و خدمات و تعليم عالي في بعض التخصصات الهامة ، و ان هيمنتها هذه ليست مستمدة من زيادة عدد ناطقيها بقدر ما هي ناتجة عن مقامهم الاجتماعي و عن توسعها الوظيفي بزيادة عدد وظائفها ، مما يستدعي ضرورة التخطيط اللغوي و التخفيف من حدة التنافس اللغوي. و لمعاينة هذا الواقع سنلجأ الى توضيح بعض المفاهيم الأساسية ، يليها عرض للغات اللمتفاعلة في الجزائر بعد الاستقلال و للخلفية التاريخية للوضع السائد، لننتقل لتحليل السلطة الرمزية للغة في السوق اللغوي الجزائرية من خلال التطرق الى تراتبية السوق اللغوية و تنافسية اللغات و الظروف السوسيوتاريخية لتعليمية اللغة الفرنسية، و أخيرا رصد مؤشرات وزن اللغة الفرنسية بعد التطرق الى مظاهر هيمنتها .

المصطلحات الأساسية:الواقع اللغوي، اللغة الفرنسية، اللغة الأجنبية، اللغة الثانية، السوق اللغوية، اللغة المهيمنة.

Sociolinguistic reality in Algeria in light of the dominance of the French language -A Bourdiarip Approach-

Abstract:–

The aim of this article is to try to arrive at a precise description of the sociological reality in Algeria, which is being challenged by several languages and dialects that are not equally symbolic and social in the language market. French is the most preferred language of the vital domains of administration, economy and Services and higher education in some important disciplines, and that this dominance is not derived from the increase in the number of callers as much as they are due to their social status and the expansion of the job by increasing the number of its functions, which requires the need for linguistic planning and reduce the level of language competition.

In order to examine this reality, we will explain some basic concepts, followed by a presentation of the interactive languages in Algeria after independence and the historical background of the prevailing situation. Let us move on to analyze the symbolic power of language in the Algerian language market by addressing the linguistic market hierarchy, the competitiveness of languages and the sociological conditions of French language education , And finally monitoring indicators of the weight of the French language after addressing the manifestations of his hegemony.

Basic terms: linguistic reality, French language, foreign language, second language, language market, dominant language

مقدمة

إن اللغة ركيزة مهمة من ركائز الحياة الاجتماعية و ضرورة من ضروراتها، لأنها أساس التواصل في حياة الأفراد و الأمم، و هي ظاهرة إنسانية اجتماعية تعكس اختلاف الأمم ، وهذا الاختلاف من سنن الله تعالى، حيث يقول في كتابه العزيز: (و من آياته خلق السموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين)، سورة الروم: الآية 22 .لذلك فان تعلم اللغات الأجنبية بات مطلبا أساسيا وضروريا في الحياة المعاصرة التي تشهد ثورة معلوماتية نتيجة التقدم في تقنية الاتصالات المساهمة في كسر الحواجز بين الثقافات والشعوب ويساعد على الفهم والاستيعاب والتبادل الثقافي بين الأمم ونقل المعارف والعلوم والترجمة بين اللغات .و لا يكاد مجتمع او بلد في العالم يخلو من التعدد اللغوي سواء لاسباب تاريخية كالاستعمار و مخلفاته الثقافية، او لاسباب اقتصادية و حضارية فرضها التقدم العلمي و التكنولوجي.و الجزائر كباقي الدول المغاربية تتسم السوق اللغوية فيها بتنوع اللغات و تنافسيتها ، فالى جانب اللغات الوطنية العربية و الامازيغية بلهجاتهما، هناك لغات اجنبية كالفرنسية التي حظيت بمكانة متميزة في سوق الممتلكات الرمزية ، و بقي تاثيرها قويا حتى بعد الاستقلال.

إشكالية البحث

ان الواقع اللغوي في الجزائر أصبح اليوم يمثل تحديا كبيرا يتطلب عملية توصيف دقيقة تسبق أي تخطيط لغوي لان الخريطة التعبيرية تبرز تباينا في درجة استعمال اللغات ، حيث ان التوسع الذي عرفته اللغة الفرنسية يعتبر احسن مثال عن هذا التباين ، هذا الأخير الذي لم يكن نتيجة للتوسع الجغرافي بزيادة الناطقين بهذه اللغة ، و انما نتيجة توسع وظيفي بزيادة عدد وظائفها : لغة خطاب، تعليم ،...الخ . و من اجل التخفيف من حدة هذا الصراع اللغوي و حتى لا ينقلب التعدد و التنوع اللغويين الى تمزق مجتمعي، ينبغي ان نميز في سياستنا اللغوية بين تدريس اللغات و لغة التدريس فالتعليم يجب ان يكون باللغة الوطنية و في ذات الوقت لا بد من تدريس اللغات الاجنبية كالفرنسية للتكامل و للضرورة الثقافية و العلمية .

في هذا الاطار و لغرض تحديد ملامح الواقع السوسيولغوي في الجزائر نتعرض لمجموعة من القضايا السوسيولغوية يمكن صياغتها على شكل التساؤل التالي: – ماهي سمات الوضع اللغوي في الجزائر بعد الاستقلال ؟ وما وزن اللغة الفرنسية كسلطة رمزية في السوق اللغوية في ظل تراتبية و تنافسية اللغات؟

أولا/ المفاهيم الأساسية

1– الواقع اللغوي : يقصد بهذا الواقع ، الصورة الحقيقية للاستخدام اللغوي في زمان و مكان محددين، و من المفترض ان تتضمن هذه الصورة معلومات عن عدد اللغات المتحدث بها و نوعيتها، و عدد المتحدثين بكل واحدة منها ، و مجالات تداولها و انتشارها ، و توزيعها الجغرافي ، وزنها و عوامل قوتها او ضعفها ، و التمثلات و المعتقدات المتكونة لدى متحدثي هذه اللغات او لدى غيرهم.

2 – اللغة الفرنسية: تعرف المنظمة الدولية للفرانكفونية اللغة الفرنسية بانها اللغة الخامسة الأكثر محكية في العالم مع 274 مليون ناطق في عام 2014 موزعين على 102 دولة، و تتمتع بازدياد سكاني في دول افريقيا ، حيث تمنحها الأنظمة التربوية باستمرار مركزا امتيازيا .[1]

3 – اللغة الأجنبية: وفقا لـ Cuq Jean Pierre و Isabell Gruca فان أي لغة ليست باللغة الام هي لغة اجنبية، و ذلك وفقا لثلاث معايير:

– البعد المادي: يقصد به المسافة الجغرافية و ما تشكله هذه المسافة من صعوبة في الاتصال المباشر بين المتعلمين و الناطقين الأصليين بهذه اللغة.

–البعد الثقافي: و هو طريقة اختلاف الحياة و الأحوال و الممارسات الاجتماعية و البيئية و الاقتصادية و الفكرية و العلاقات الإنسانية، حيث يمكن ان تختلف الممارسات الثقافية بين بلدين بالرغم من تجاورهما جغرافيا.

– البعد اللغوي:و يقاس ببعد اللغة المتعلمة او بقربها بالنسبة للغة الام للمتعلمين من ناحية عائلة اللغة أي اصلها، و هذه الاختلافات يمكن ان تكون ذات طبيعة متعددة كالمفردات ، و القواعد، و الخطابة، و الكتابة...الخ. (2)

4–اللغة الثانية: تعتبر اللغة ثانية ، كل لغة يضيفها الفرد الى لغته الام مادامت ذات قواعد تختلف عن لغته الام و يتلقاها في المحيط الثقافي و الاجتماعي للغة نفسها، و حسب Pierre Martinez تطلق تسمية لغة ثانية على كل نظام لغوي يكتسب زمنيا بعد اللغة الاولى.(3)

5–السوق اللغوية: لشرح آلية عمل اللغة المشروعة صاغ بيير بورديو نموذجا رياضيا ضمنه مفاهيم ذات مجاز إقتصادي، حيث اعتبر أن التبادل اللغوي (التخاطب) هو كذلك تبادل إقتصادي يتم داخل سوق لغوية و التي : «توجد كلما انتج شخص ما خطابا موجها نحو متلقين قادرين على تثمينه وتقديره ،.. و السوق اللغوية شيئ ملموس وتجريدي في الوقت نفسه، فمن الناحية الواقعية تعتبر السوق وضعية اجتماعية رسمية مطقسنة...انها بمثابة مجموعة من المتحاورين الذين يشغلون مناصب عليا لحد ما و ذلك في سلم التراتب الاجتماعي » (4).

6–اللغة المهيمنة: يرى بورديو ان قدرة العبارات اللغوية على التبليغ لا يمكن ان توجد في الكلمات ذاتها، فليست سلطة الكلام الا السلطة الموكلة لمن توفر لديه امر الكلام. لذلك فانه من الخطا الاعتقاد ان علة تفسير فعالية الكلام تكمن في الخطاب ذاته، بل تتوقف على المقام الاجتماعي للمتكلم.(5) و كمثال على اللغة المشروعة و المهيمنة ، يقدم بورديو نموذج لغة القساوسة و الأساتذة و المتميزة بخصائص التقليد و التكرار و مع ذلك فان هؤلاء يضفون على الكلمات "معان ثانوية" ترتبط بسياق خاص، فيزود الخطاب بفائض المعنى الذي يمكنه من قوة التبليغ (6).فاللغة المهيمنة لا تستمد سلطتها من مجموع تغيرات النطق و كيفيات التلفظ ، و لا من تعقيد تراكيبها الصرفية و غناها اللفظي، أي من خصائص اللسان ذاته ، و انما من الشروط الاجتمهاعية لانتاج و إعادة انتاج المعرفة بتلك اللغة المشروعة و العمل على الاعتراف بها داخل الطبقات الاجتماعية ، و هنا يستحضر بورديو مثالا اخر عن اللغة المهيمنة بالحديث عن علاقات التبعية ذات الطابع الاقتصادي بين الفرانكوفونيين والناطقين باللغة العربية، والتي يمكن ملاحظتها في عدد من البلدان الناطقة بالعربية التي كانت مستعمرة سابقا من قبل فرنسا، و من بينها الجزائر، حيث أنه من

خلال الدفاع عن سوق المنتجات اللغوية، يدافع أصحاب الهابتوس اللغوي عن القيمة الخاصة بهم كمنتجين لغويين.[7]

ثانيا/ اللغات المتفاعلة في الجزائر بعد الاستقلال في اطار ظواهر الازدواجية، الثنائية و التعدد اللغوي.

1–اللغات المتفاعلة في الجزائر بعد الاستقلال :

لخص الباحث لويس جان كالفي الوضع اللغوي بالمغرب و الجزائر بوجود اربع لغات تؤدي وظائف شديدة التنوع، و هذه اللغات هي العربية الفصحى و اللغة الفرنسية و اللغة الام التي تنقسم الى لغة امازيغية في بعض المناطق وعامية قريبة الى الفصحى في مناطق أخرى، و هو كلام نقل عن جيلبيرت غرانغيوم Gilbert Grandguillaaume[8] الذي يعرف هذه اللغات – في كتابه عن التعريب و السياسة اللغوية في بلدان المغرب – بقوله:«تستخدم في بلدان المغرب الحالي ثلاث لغات : العربية و الفرنسية و اللغة الام، اما الاوليان فلغتا الثقافة ، و هما لغتان مكتوبتان .و تستخدم الفرنسية أيضا لغة للمحادثة . غير ان اللغة الام الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة هي العربية او البربرية، و ليست هذه اللغة الام ، باستثناء حالات نادرة جدا، لغة مكتوبة».[9]

و يحدد صالح بلعيد ثلاثة أنماط واصفة للوضع اللغوي في الجزائر تتمثل في:

ا– لغات ذات انتشار واسع هي العاميات او الدارجات العربية ، و بالرغم من تنوعها الا انها تحتكم لقواسم مشتركة.

ب– لغات محلية هي الامازيغية بمختلف تأدياتها و لهجاتها.

جـ– لغات كلاسيكية هي العربية الفصحى و الفرنسية .[10]

فنظرا لتنوع التركيبة الاجتماعية و الثقافية للمجتمع الجزائري هناك من لا يسلم بوجود لغة ام واحدة لكل افراد المجتمع و يعتقد بوجود لغتان هما البربرية او المازيغية، و اللهجة العامية العربية، اما العربية الفصحى فيعتبرها لغة ثانية و الفرنسية ثاني لغة ثانية للجزائريين.

أ– اللغة العربية: هي اللغة الرسمية والوطنية دستوريا، وهي ثابت من ثوابت الامة و رمز هويتها العربية ، وجدت في المغرب العربي عموما مع انتشار الفتح الإسلامي نهاية القرن السابع الميلادي، فحظورها حقيقة وطنية و فوق وطنية (Supranationale) ، مادامت تقوم بوظيفة اللغة الرسمية في دول المغرب العربي، و بوظيفة اللغة الدولية على مستوى العالم العربي[11]. و يجتمع اهل السياسة و اهل اللغة على راي واحد في تعريف "اللغة الرسمية"، باعتبارها اللغة التي يحددها الدستور او الميثاق الوطني او أي قانون مستمد منهما، اما مصطلح " اللغة الوطنية" عند اهل السياسة تعادل تماما اللغة الرسمية كونها لغة الوطن الذي له حدود سياسية ، بينما يفسرها اللغويون بمنطق الاستعمال ، أي اللغة المستعملة في ارض الواقع. و بالرغم من صفتي الرسمية و الوطنية اللتان تتميز بهما اللغة العربية ، الا ان انشارها محدود و استعماله في الإدارة متناقض، و جانبها الكتابي اوفر بكثير من جانبها الشفوي.

ب. اللهجة العامية العربية: يرمز مفهوم اللغة العربية العامية السائدة في مجتمع ما الى التي تستخدم في شؤون الحياة اليومية العادية في مختلف أوجه الحياة ، و اللغة العامية لا تراعي قواعد اللغة العربية و

أصولها ، و تمتلك مجموعة من الخصائص اللغوية المرتبطة بالوسط كالعامية الجزائرية او المصرية ...الخ، كما ان اللغة العامية تمتلك نسقا من اللهجات المحلية تغطي مختلف أقاليم البلدان العربية و يطلق على اللهجة العامية أسماء عديدة مثل: اللهجة السائدة ، اللغة العامية، اللغة الدارجة.[12]

جـ. اللغة الامازيغية: إن الامازيغية من حيث هي لغة و ثقافة و تراث، هي جزء لا يتجزأ من مركبات الشخصية الوطنية التاريخية . و تعتبر اللغة الاصلية لسكان شمال افريقيا منذ القدم ، و اللغة الأولى لبعض سكان منطقة القبائل و جبال الاوراس و الطوارق في الصحراء .عاشت الامازيغية مع اللغة العربية جنبا الى جنب عبر قرون في تفاهم على الأدوار ، ومن دون تصادم او خلاف [13]. و قدعملت الجزائر على ترسيخ و ترقية البعد الامازيغي بمختلف مكوناته (اللغة، الثقافة، العمق التاريخي و الانتربولوجي) في المسار التربوي و العمل تدريجيا على تعليم اللغة الوطنية الامازيغية منذ ان صادق البرلمان على بعدها الوطني بتاريخ 08 افريل 2002، حيث شرع في تدريس الامازيغية ابتداء من شهر أكتوبر 1995 في 16 ولاية [14]، ثم في ولايات أخرى استجابة للطلب حيثما كان التعبير عنه بالقطر الوطني.

د.اللغة الفرنسية: فرض حظور اللغة الفرنسية في الجزائر على اثر الاستعمار الفرنسي الذي امتد من 1830 الى 1962 ، و انتشرت في جميع مناطق البلاد و بقي تأثيرها قويا حتى بعد الاستقلال فتجاوزت مكانتها مكانة اللغات الأجنبية. و تعد اللغة الفرنسية حاليا عندنا اللغة الأجنبية الأولى و يعم استعمالها عند قسط كبير من الناس، اذ يعتبرونها نافذة يطلون منها على ثقافة الغرب، بل هناك من جعل منها لغته الأولى ، اما على الصعيد التعليمي فهي تدرس انطلاقا من الأقسام التحضيرية الى الصفوف الابتدائية ثم الاعدادية فالثانوية و المرحلة الجامعية و توظف على نطاق واسع بالشعب العلمية و التقنية في التعليم الجامعي، و في وسائل الاعلام المرئية و المكتوبة و المسموعة و تستخدمها بعض فئات المجتمع للتواصل الشفهي، و هذا ما جعلها تؤثر على اللغة العربية و مكانتها . فلا جدال اذن في شيوع الثنائية اللغوية (عربية/ فرنسية)، و ان لم تعترف بها الجهات الرسمية رغم صدور عدة قوانين بعد الاستقلال تدعو الى ترسيم اللغة العربية. فمنذ الاحتلال و الى حد اليوم لازالت اللغة الفرنسية تحتل مكانة خاصة لدى طبقات اجتماعية ميسورة من الجزائريين خاصة في المدن الكبرى، حتى أصبحت بالنسبة لديهم لغة التواصل اليومي و التميز الثقافي ، كما انها لغة المعاملات الادارية و الاقتصادية في الكثير من القطاعات الخدماتية و الإنتاجية و الصناعية و الإعلامية.، اذ احتلت الصحافة باللغة الفرنسية حيزا كبيرا من القراء حتى بداية التسعينات .[15]

2–الخلفية التاريخية للوضع اللغوي السائد

بما ان منطقة الشمال الافريقي بما فيها الجزائر ظلت ارض التلاقي بين مجتمعات اطراف البحر الأبيض المتوسط فان الثقافة و اللغة الامازيغتين كانتا في اتصال دائم بالعديد من اللغات و الثقافات في اطار الفتوحات الإسلامية في الاتصال باللغة العربية ، و في اطار استعماري عند الاحتكاك باللغات الاسبانية و البرتغالية و التركية و الفرنسية، و تميز هذه التلاقي بالتصارع مع السكان الأصليين الامازيغ تارة، و بالتعايش معهم تارة أخرى و أدى هذا الى النماذج و التداخل بين اللغات و الثقافات الوافدة من جهة و اللغات و الثقافات المحلية و الاصلية من جهة ثانية .[16] فتشكلت للجزائر عبر العصور هوية مركبة، كان

للغة العربية فيها الحظ الاوفر بفعل انتشار الإسلام بين سكانها و اعتمادها كلغة للتعليم الذي كان يقوم اناذاك على الدراسات الدينية و اللغوية و الأدبية و قليل من الدراسات العلمية ، ازداد هذا الوضع اللغوي و الثقافي تنوعا بعد سقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي الذي عمل على الهيمنة على المجالات الحيوية التي كانت تشغلها اللغات المحلية و تقوم بها. ان الخلفية التاريخية الاستعمارية كانت السبب الرئيسي في شيوع الثنائية اللغوية (عربية/فرنسية) بالرغم من سياسة التعريب المنتهجة من سلطات البلاد، و هي ثنائية ابقيت السيادة فيها للغة الفرنسية كلغة مهيمنة على القطاعات الحيوية في المجتمع الجزائري، فهي لغة الصناعة و الإدارة و المؤسسات الاقتصادية كما ان فشل تعريب الجامعة الجزائرية و اقتصارها على معاهد العلوم الإنسانية اكثر بمقابل بقاء اللغة الفرنسية لغة التدريس في الكثير من المعاهد ، أسهم في الهيمنة اللغوية للفرنسية ، لذلك يمكن القول ان هذه الثنائية اللغوية رسخها التعليم و عززتها السياسة و نشرتها وسائل الاعلام بين مختلف الشرائح الاجتماعية ، بعدما مهدت لظهورها الحقبة الاستعمارية.

3– ظواهر التعدد اللغوي، الازدواجية و الثنائية اللغوية

أ– التعدد اللغوي: يعتبر التعدد اللغوي اذا سمة ملازمة للمجتمع البشري، يتعذر معها الحديث عن مجتمع احادي اللغة، ففي الدول و التجمعات البشرية كلها تتعايش اللغات و اللهجات بهذا القدر او ذاك، و لا يكاد يخلو مجتمع او بلد في العالم من التعدد اللغوي سواء لأسباب تاريخية نحو الاستعمار و مخلفاته الثقافية و الاقتصادية ام لأسباب حضارية دعت اليها ضرورة التقدم العلمي و التطور التكنولوجي، و لا ضير ان يتخذ التعدد اللغوي مسلك الانفتاح على الثقافات الأجنبية بتوسيع دائرة التفكير اللغوي ، الا ان تقبله يختلف من دولة لأخرى، فهناك من اعتبره نعمة له، فخطط له و استفاد من ايجابياته، و هناك من لم يحسن فهمه و التعامل معه فكان نقمة عليه زاده تدنيا و تدهورا كحال دولنا العربية.

ويعرف جون لويس كالفي التعدد اللغوي plurilinguistique بانه قدرة الفرد على استخدام اكثر من لغتين و يصنفه الى : تعددية لغوية ذات لغة وحيدة غالبة، تعددية لغوية ذات لغة واحدة اقلية، تعددية لغوية ذات لغات غالبة اقلية، تعددية لغوية ذات لغة غالبة بديلة، تعددية لغوية ذات لغات غالبة إقليمية.[17] و تجدر الإشارة الى ضرورة التمييز بين مستويين للتعدد اللغوي هما الاجتماعي و الرسمي ، حيث ان الأول قائم في المجتمع بحكم الواقع (كما هو حال الجزائر) ، اما الثاني فتحدده الدولة و تعترف به رسميا من خلال دستورها(كما هو الحال في كندا و سويسرا) . و تتجسد ظاهرة التعدد اللغوي في المجتمع الجزائري بين اللغة العربية و اللغة الامازيغية و العاميات بالإضافة الى اللغة الفرنسية ، مما أدى حسب اراء صالح بلعيد الى استفحال ظاهرة الهجين اللغوي: «فكان هناك خلط في التعبير و تداخل بين الفاظ و عبارات اللهجة العامية المحلية و الفاظ و صيغ و تراكيب من لغة اجنبية دخيلة ذات تأثير في المتلقي».[18]

ب– الازدواجية اللغوية: لم يظهر مصطلح الازدواجية اللغوية (Diglossie) في ادبيات اللسانيات الا في عام 1959 حين استخدم اللساني الأمريكي شارل فرغيسون (Charles Ferguson) هذا المصطلح الماخوذ من اللغة الاغريقية [19]، و تقيم الازدواجية اللغوية التي يتحدث عنها فرغيسون :« مقابلة بين ضربين بديلين من ضروب اللغة، ترفع منزلة احدهما (فيعتبر المعيار) ، و يكتب بها الادب المعترف به، و لكن لا تتحدث به

الا الأقلية ، و تحط منزلة الاخر، و لكن تتحدث بها الأكثرية »[20]. فالازدواج اللغوي بمثابة تنوعات مختلفة للسان الواحد او اسلوبان مختلفان من نفس اللغة في مجتمع واحد ، فيكون للغة الواحدة مستويان في الاستعمال ، احدهما فصيح و مشترك يستعمل في المناسبات الرسمية و التعليم و العبادة و الإدارة، و اخر مستوى عامي يستخدم في المحادثات اليومية . و تتمظهر الازدواجية اللغوية في الواقع الجزائري بالجمع بين اللغة العربية الفصحى التي يكثر تداولها في المناسبات الرسمية و الكتابة و الادب و التعليم و الإدارة [21]، أي لدى فئة من المثقفين و بأماكن محددة كما هو الحال في المجال الديني و المؤسسات التربوية و الإدارية، و بين لهجات محلية عامية تستعمل في الحياة اليومية و في المحادثات التي تدور في الأوساط الاسرية و الشارع و في بعض الآداب الشفوية كالحكايات.

جـ– الثنائية اللغوية Bilinguisme: انه من الصعوبة بمكان ان نحاول تقديم تحديد واضح لمصطلح الثنائية اللغوية و كيفية ظهوره ، و ذلك لما وجدناه من اختلاف في ضبطها بين العلماء في مؤلفاتهم ، كون ان حدود هذه المصطلحات غير واضحة المعالم بحكم انها ظواهر لا تهم علماء اللغة وحدهم بل يشترك فيها العديد من العلماء باختلاف تخصصاتهم .و لعل الاضطراب و الغموض في تحديد المصطلح بدقة بين الباحثين و المترجمين العرب–حيث عادة ما يستعمل مصطلح "Diglossie "و يقصد به الثنائية و يستخدم مصطلح" Bilinguisme" و يراد به الازدواجية– هو ما دفع الباحث ميشال زكريا الى تقديم جملة من التعاريف للثنائية اللغوية أهمها:«الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص او لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين ، و ذلك من دون ان تكون لدى افرادها قدرة كلامية مميزة في لغة تكثر مما هي في اللغة الأخرى، و هي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب و حسب البيئة و الظروف اللغوية، لغتين مختلفتين ». [22] و على عكس الباحثين اللغويين في بلاد المشرق العربي ، فان باحثي المغرب العربي يقدمون ترجمة مخالفة، فقد عرف الأستاذ "صالح بلعيد" مصطلح Bilinguisme المترجم لديه الى الازدواجية اللغوية بقوله :« هي نظام استخدام لغتين في ان واحد للتعبير او الشرح و هو نوع من الانتقال من لغة الى أخرى» .[23]

إن الازدواجية اذا تدل على تقابل شكلين لغويين او نمطين يعودان للغة واحدة كاللغة العربية بين فصحاها و عاميتها بينما تشير الثنائية اللغوية لضرورة وجود لغتين تتعايشان لكي يكون هناك ثنائية لغوية . و تتجسد ظاهرة الثنائية اللغوية في المجتمع الجزائري بين اللغة العربية و اللغة الفرنسية في المقام الأول، و بين اللغة العربية و اللغة الامازيغية بدرجة اقل ذلك ان عدد الناطقين بالمازيغية محصور ببعض الولايات فقط.

إن الثنائية اللغوية (العربية/ الفرنسية) بالرغم من الامتيازات التي توفرها للناطقين باللغتين ، الا انها تمثل حسب اراء صالح بلعيد احدى المشكلات اللغوية المعقدة في الجزائر ، كون ان الثنائي اللغة يكون غير قادر على الإنتاج العلمي و الابداع الفكري ، لانه يعيش متذبذبا بين لغتين ، و هذا ما يمنعه من التمكن من لغته الاصلية ، بالإضافة الى ان الثنائية اللغوية تؤثر سلبا في شخصية الفرد حيث يصبح مضطربا بين ثقافة اللغة الام و اللغة الأجنبية[24]. و في الجهة المقابلة يقف المؤيدون للثنائية اللغوية موقف المتفائلين من امتلاك و ارث عالمين ثقافيين مختلفين، فينظر لتعليم اللغات في الفضاءات المزدوجة كما يقول L.Porcher :« كخيار سوسيومهني ، يهدف الى جعلهم مسلحين بشكل جيد و باسرع وقت ممكن لهذه الوضعية

التنافسية»[25]. هذه الثنائية اللغوية تمارس في الجزائر بقدر من الحرية لا نجد لها مثيلا في غيرها من البلدان العربية، ذلك لان اللغة الفرنسية انتشرت مع الاستعمار و امتدت لجميع المناطق و بقي تاثيرها قويا بعد الاستقلال مقارنة بغيرها من اللغات الأجنبية ، بل و وظفت على نطاق واسع في الشعب العلمية و التقنية و في وسائل الاعلام و استخدمتها بعض الفئات الاجتماعية المثقفة و الميسورة للتواصل الاجتماعي ، فلا جدال اذا في شيوع هذه الثنائية اللغوية ، و ان لم تعترف بها الجهات الرسمية، و تعتبر هذه الثنائية اللغوية ظاهرة تاريخية افرزتها مخلفات الحقبة الاستعمارية ، و ساهمت في تثبيتها ظروف المرحلة الانتقالية التي عرفتها البلاد بعد الاستقلال حيث مثلت اللغة الفرنسية السبيل الوحيد للتفوق و النجاح و تحصيل المعارف و العلوم.

4–الظروف السوسيوتاريخية لتعليمية اللغة الفرنسية بعد الاستقلال

ان اختيار لغة التدريس في الجزائر المستقلة كان دائما يخضع لموازين القوى بين الجهات المتصارعة على الساحة الهوياتية. غير ان خيار التعليم المزدوج المتخذ سنة 1962 كان نتيجة للظروف الموضوعية و الصعبة التي ميزت الدخول المدرسي الأول، اذ لم يكن من العملي و العقلاني التغيير الجذري لنظام التعليم [26]. ذلك ان« عدد المتعلمين باللغة العربية الفصحى لم يكن يتجاوز 300000 من تعداد سكاني يقارب العشرة ملايينن في حين كان هناك قرابة المليون ممن يستطيعون قراءة اللغة الفرنسية و 06 ملايين ممن يحسنون التكلم بها».[27]

ويسمح هذا التعليم المزدوج للتلميذ بتعلم اللغة العربية و اللغة الفرنسية بشكل متواز و متساو نسبيا، حتى و ان أعطيت الاسبقية فيه للغة الفرنسية بالنظر الى الخبرة التي اكتسبتها هذه اللغة في بيداغوجيا التعليم الى غاية صدور القانون رقم 05/91 المؤرخ في 1991/01/16 و المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية [28]. و بالرغم من سياسة التعريب حافظت اللغة الفرنسية بفعل الضغط الذي يمارسه الناطقون بها ، على مركز اللغة الأجنبية الأولى التي تتمتع بالمعاملة الخاصة في كل اطوار التعليم بالرغم من محاولات بعض المعربين استبدالها باللغة الإنجليزية، حيث تم تجريب اللغة الإنجليزية ابتداء من 1993 كلغة اجنبية أولى، و ترك الاختيار للاولياء، الا انه تم اجهاض هذه التجربة سنة 1998 نظرا لتراجع الطلب عليها.[29]

هناك من يفسر فشل إحلال اللغة الإنجليزية كلغة اجنبية أولى بدل اللغة الفرنسية، بعدم توفر قاعدة ثقافية و لغوية و اجتماعية يمكن ان تدعم الإنجليزية، حيث تبين احصائيات وزارة التربية الوطنية تفضيل الاولياء للغة الفرنسية إدراكا منهم لهيمنتها على جزء هام من الفعل الاجتماعي، و في هذا الصدد يؤكد ياسين دراجي اختلاف وضع اللغة الفرنسية بين الخطاب السياسي الداعم للغة العربية و بين الواقع الاجتماعي و الثقافي، « فمنذ 1996 تبين ان قطاعا كبيرا من أولياء التلاميذ اختاروا اللغة التي كان لها وجود في الواقع السوسيولغوي للبلاد(اللغة الفرنسية)، فاختيارهم هو اختيار عملي معاكس تماما للخطاب السياسي و منسجم بشكل تام مع الوضعية اللغوية و الثقافية للبلاد».[30] و في سياق التحولات الوطنية الموالية كظهور التعددية السياسية التي تفرض على المنظومة ادراج مفهوم الديموقراطية و المواطنة و مواقف التفتح و التسامح و التاسيس لاقتصاد السوق و العالمية ، وبغية السهر على أوجه التكامل مع اللغة الرسمية للبلاد و المتمثلة في

اللغة العربية و اخذ مصالح البلاد الاستراتيجية في الحسبان ، فقد كرس القانون التوجيهي للتربية رقم04/08 في مادته الرابعة ضرورة تمكين التلاميذ من التمكن في لغتين اجنبيتين على الأقل للتفتح على العالم [31].

ثالثا/ السلطة الرمزية للغة الفرنسية في السوق اللغوية الجزائرية

1- تراتبية السوق اللغوية و تنافسية اللغات

اجرى الدكتور صالح بلعيد خطاطة سوسيولسانية افتراضية للوجه الاجتماعي للغات، و لاحظ ان استعمال اللغة الفرنسية يمس اكثر المقامات ، و تاتي الدارجات في المرتبة الثانية ، و العربية الفصحى في المرتبة الثالثة، اما المحليات فكل واحدة لها أوضاعها ، حيث نجد ان القبائلية لها وضع متميز عن الاخريات رغم ان مجالها محدود [32]. هذه التراتبية في اللغات التي أشار اليها صالح بلعيد اكدها احمد بوكوس في كتابه "مسار اللغة الامازيغية الرهانات و الاستراتيجيات" من خلال تحديد للطبقات التي تشكل التعدد اللغوي لبلاد المغرب، فنسب اللغة الفرنسية للطبقة المركزية العليا، و اللغة الفرنسية للطبقة المركزية الكبرى، اما العربية فللطبقة المركزية و الامازيغية للطبقة المحلية.[33]

وانطلاقا من فحص هذه المعطيات الديموغرافية اللغوية و الدراسات النظرية نلاحظ وجود مفارقة بين درجة الاستعمال لكل لغة و وزنها في السوق اللغوية ، حيث ان العربية الدارجة و الامازيغية بتعدد لهجاتهما، هما الأكثر استعمالا في مجال التواصل الشفهي ، بينما اللغة الفرنسية و العربية الفصحى ، باعتبارهما لغتي كتابة ، تستعملان في المعاملات الرسمية، بل و تتفوق الفرنسية على العربية في مجالات الادارة و الاقتصاد والخدمات، لذلك يمكن القول على الصعيد السوسيولغوي ان درجة حظوة اللغة متناسبة عكسيا مع درجة استعمالها، بمعنى ان اللغة لا تكتسب قوتها بكثرة مستعمليها بقدر ما تكتسبها من المقام الاجتماعي للمتكلمين [34]. و يضيف بيير بورديو :« ...فمن عهد اليه ان يكون ناطقا باللسان لا يستطيع ان يؤثر عن طريق الكلمات على أعضاء آخرين و يؤثر عبر أعمالهم، على الأشياء ذاتها ، الا لان كلامه يكثف الرأسمال الرمزي الذي وفرته الجماعة التي فوضت اليه الكلام ووكلت اليه امر النطق باسمها و أسندت اليه السلطة» [35]. ان هذه المفارقة على تعبير احمد بوكوس، تعكس من جهة أخرى التقسيم الثنائي للسوق اللغوية بين لغات شفهية و أخرى كتابية ، و من جهة ثانية الثنائية اللغوية الوظيفية التي تميز اللغات المتعالية او المرموقة و هي العربية الفصحى و الفرنسية عن اللغات الدنيا او العامية أي الامازيغية و العربية الدارجة. كما تقوم تنافسية شديدة بين اللغات وسط الفئة اللغوية ذاتها ، و بين الفئتين اللغويتين ، حيث تتنافس اللغات بحكم وضعها و خصائصها و وظائفها الاجتماعية–اللغوية ، في حقول الإنتاج الاجتماعي الذي يوزع الراسمال الرمزي على نحو التمييز و الاعتراف، بقدر ما يوزع الراسمال المادي ، على شكل فوائد و أرباح [36]، لذلك فان اللغات في الجزائر ليست على نفس القدر من حيث القيمة الرمزية و الاستعمالات الاجتماعية، فانها تحتل مواقع مختلفة في الهابيتوس (Habitus) اللغوي للمتكلمين، و من ثمة في الحقل الاجتماعي الاقتصادي.[37] و قد درج البعض على تحديد وضع اللغات في السلم التراتبي من خلال تحديد وظائفها، حيث أسندت اغلبية الاطروحات للفرنسية مجال الاقتصاد و التعليم و الإدارة و السياسة الخارجية، و أسندت للغة العربية وظائف الشؤون الدينية و التعليم ، و بشكل محتشم الإدارة و الاعلام، في اعتبرت

الامازيغية و العربية أداة للتواصل اليومي، على ان استخدام هذه اللغات يأخذ شكل ثنائية لغوية او ازدواجية او استخداما وظيفيا للغات، و هو ما يمثل احدى خصوصيات الحقل اللغوي بالجزائر ، فالثنائية اللغوية (فرنسية /عربية) هي بشكل عام غير مستقرة ، حيث ان الأوضاع التي تؤول لكل لغة على حدا غير ثابتة، لكونها تتطور ارتباطا وفق علاقات القوى بين مستعمليها و مواقفهم و تصوراتهم الرمزية ، و يتعلق الامر بالصراع بين اللغتين العربية و الفرنسية حيث تارة ما يسجل حظور لغة بقوة في السوق اللغوية، و تراجعها تارة أخرى، حسب الظروف و موازين القوى بين دعاة التعريب و الفرانكفونيين و يتمظهر هذا الصراع بشكل واضح في ميدان التعليم.

2- مظاهر هيمنة اللغة الفرنسية على السوق اللغوية و تعاظل الفرانكفونية

من بين مظاهر هيمنة اللغة الفرنسية على اللغة العربية الفصحى بلهجاتها و الامازيغية و باقي اللغات الأجنبية، نذكر:

- استخدام اللغة الفرنسية في أهم و اغلب المجالات الحيوية كالادارات التابعة للقطاع العام، المجال الاقتصادي...
- ازدهار غير مسبوق للتعليم الأجنبي الفرنسي ، لا سيما في المراحل الأساسية و الثانوية و بدءا من رياض الأطفال ، ففي السنوات الأخيرة بدانا نشاهد توسعا في المدارس الخاصة التي تولي أهمية كبير للغة الفرنسية في برامجها، خاصة على مستوى الجزائر العاصمة ، كما اصبح لافتا للنظر ان تعليم مدارس البعثة الفرنسية و المدارس الموازية لها،و دروس الدعم الخاصة لمادة اللغة الفرنسية ، صار يجتذب كثيرا من الزبائن من أبناء النخبة، و على مستوى المعاهد الفرنسية الحكومية وصل عدد الطلبة الذين يريدون تعلم اللغة سنة 2013، تعداد 11500 طالبا أي ارتفاعا بنسبة 12 %في عدد المسجلين، و لتلبية هذه الطلبات فتحت فروع العاصمة و وهران و قسنطينة قاعات دروس جديد لذلك.[38] و تدريس المقررات العلمية في كليات الطب و الصيدلة و باقي الشعب التقنية في التعليم العالي و الجامعي باللغة الفرنسية، فهي لغة التعليم الوحيدة لكل هاته التخصصات الحيوية التي تتجه اليها النخبة المتميزة من المتعلمين.
- هيمنة اللغة الفرنسية على المشهد العام في شوارع المدن الجزائرية ، باستعمال الحرف اللاتيني في كتابة لافتات الازقة و الشوارع و المحلات التجارية و المقاهي و المطاعم و لوحات مكاتب الاطباء و المحامين و الشركات و المقاولات و على لافتات إشارات المرور.
- انتشار ظاهرة "التحول اللغوي" الى اللغة الفرنسية في اثناء الحديث من دون أي مبرر لذلك داخل أوساط الاسر و العائلات و بين الرفاق و الأصدقاء، و حتى في بعض الاجتماعات العلمية و الرسمية على مستوى الإدارات و المؤسسات التعليمية. و لكثرة اعتياد الناس على الكلام بخليط من العربية و الفرنسية، اصبح هذا الامر لا يثير أي استغراب، و قد أدى ذلك بالفعل الى خلق دارجة جزائرية من نوع خاص لا هي بالعربية و لا هي بالفرنسية. و حسب دراسة قام بها مرصد اللغة الفرنسية عام 2010، فقد بلغ عدد المتكلمين بالفرنسية بالجزائر 11.2 مليون شخص.[39]

- استعمال اللغة الفرنسية في وسائل الاعلام على اختلافها، و كذلك في لوحات الاشهار التي تعلق بالشوارع و الوصلات الاشهارية و التي تتخلل البرامج الاذاعية و التلفزيونية، و تحتل حيزا من صفحات الجرائد و المجلات حتى المعربة منها.
- استخدام اللغة الفرنسية في مرتبة ثانية بعد الإنجليزية في مجالات مصطلحات " الانترنيت" و "الحاسوب" و تكنولوجيا الاتصالات ، خاصة في ظل تراجع حركة التعريب في مجال المصطلحات الحديثة.

تستطيع اللغة اذن بواسطة سلطة الجبر و الضبط التي تتوفر عليها كظاهرة اجتماعية، ان تتحول الى وسيلة انتقاء لا تقر بمنافع المجتمع الا للذين يخضعون لقواعدها، فكثير من الشعوب لم تختر لغتها، لان اللغة غالبا ما تكون مفروضة بسلطة اقوى، مستمدة من سلطة ناطقيها [40]، و هو ما يثبت خاصية جبرية اللغة كظاهرة اجتماعية تمارس نوعا من الالزام و القهر الخارجي على الافراد.انظر اميل دوركايم، قواعد المنهج..) الذين يجبرون الآخرين على استخدام لغتهم باعتبارها شرطا للوصول الى الموارد الموجودة بين ايدي هؤلاء الناطقين المهيمنين. و هو ما حاول بيير بورديو اثباته من خلال تقديمه مثالا عن الجزائر و مثيلتها القرية البيارنية التي لا يغير المتحدثون فيها لغتهم عشوائيا في حالة ازدواجية اللغة ، بل يفعلون ذلك وفقا للموضوع المطروح و تبعا للسوق اللغوية التي لا يغير المتحدثون فيها لغتهم عشوائيا في حالة ازدواجية اللغة،بل يفعلون ذلك وفقا للموضوع المطروح و تبعا للسوق اللغوية، فتماشيا مع بنية العلاقة بين المتحدثين ، تزداد النزعة الى تبني اللغة المهيمنة كلما ارتفعت مرتبة الشخص الذي يتوجه اليه بالحديث، بمعنى انه اذا كان المستمع مهما بذل المتكلم جهدا للحديث بالفرنسية على افضل نحو ممكن و بذلك تسود اللغة المهيمنة لا سيما اذا كان المهيمنون يسيطرون على السوق المعنية على نحو تام .[41]

و في تبرير شرعية هيمنة اللغة الفرنسية في المغرب العربي بصفة عامة ، يتحدث جيلبرت غرانغيوم عن الدور الذي لعبته هذه اللغة في انفتاح المغرب العربي بما فيه الجزائر على العصرنة و الحرية فيقول: « اللغة الفرنسية حاظرة تاريخيا في المغرب العربي في قيمة مزدوجة جذرية، انها لغة العنف الاستعماري و سلخ الهوية الوطنية، و لكنها أيضا لغة التفتح و الحرية، و بفعل الدور الذي لعبته فانها تمثل رابطا للاصل و من ثم فهي مرجع للهوية و الاعتراف بها كذلك من طرف المغاربة تحرير لها من النية السيئة المرتبطة غالبا باستعماله، النية السيئة المرتبطة غالبا بايديولوجيين سيئي السريرة الذين يطعنون في مصداقيتهم بحرصهم على التمكن هم و ابناؤهم حتى تستدعي مصالهم و مصالح أبنائهم كذلك». [42] فاللغة العربية و ان استفادت – في مسيرة التعريب– من اعمال استراتيجية الشرعنة و من ترسانة قانونية لفرض نفسها لغة وطنية رسمية مجددة و حديثة ، فان الواقع يظهر ان سيرورة التعريب و ان أدت الى تعريب قطاعات مهمة من المنظومة التربوية ..، فانها مع ذلك لم تقتحم المجالات الخاصة باللغة الفرنسية. و يعتقد البعض ان سياسة التعريب بالمغارب عموما لا تعدو ان تكون في الواقع سوى ذريعة سياسية مستخدمة من قبل الجماعات المسيطرة حتى تقدم لاطفال الطبقات الشعبية تكوينا معربا غير مجدي ، و لا يخولهم ولوج المجالات الاجتماعية–الاقتصادية الموفرة ، و في مقابل ذلك تقوم هذه الجماعات بتربية أبنائهم و تكوينهم في المدارس الأجنبية، انه مثال يعبر عن استراتيجية إعادة الإنتاج الاجتماعي لبيير بورديو.[43]

ان الحظور القوي للفرنسية في المغارب عموما و في الجزائر على الخصوص، هو نتيجة لوضعية التبعية و الموصوفة بالتبعية المتبادلة حسب فلسفة حركة الفرانكفونية التي تعرفها قمة كيبك(1987) على انها فضاء مشترك من أهدافه التعاون و التبادل و التنمية و التشاور السياسي الذي تعتزم الدول الأعضاء تحقيقه عبر التضامن و التقاسم و تؤول الفرانكفونية في الغالب بصفتها ضمانا تتيح للبلدان الفرانكفونية الفقيرة الاستفادة من مساعدات الدول الناطقة بالفرنسية الغنية، على مستوى المساعدة الاقتصادية و الثقافية، و هكذا فان مداخل الفرانكفونية و مخارجها تتعدى الامر اللغوي الى الطابع السياسي و الاقتصادي و الثقافي، و هو ما يجعل البعض يرى ان الفرنسية قد انتقلت من وضع لغة الاستعمار القديم الى وضع لغة الامبريالية.[44] فبالرغم من عدم انتماء الجزائر للمنظمة الفرانكفونية، الا انها تصنف الدولة الافريقية الأولى في انتاج و استهلاك المنتجات الثقافية باللغة الفرنسية [45]، «حيث ان قرابة نصف الاعلام الجزائري يصدر باللغة الفرنسية، و بها يعبر و يصرح معظم إطارات الدولة، كما ان جزءا مهما من الجزائريين لا يستعملون الا اللغة الفرنسية في العائلة.»[46]. ففي الوقت الذي يعتقد فيه الجزائريون انهم استعادوا اللغة العربية من خلال التعريب، يفاجئنا المجلس الأعلى للفرنكفونية بباريس في تقرير 1993 بعدد من الاحصائيات التي تبين مدى فعالية و جدوى الفرنسة امام سياسة التعريب[47]، « فمن قرابة 25 مليون نسمة يعتبر قرابة السبعة ملايين و النصف " كفرنكفونيين حقيقيين" أي ما يعادل 30% ، يضاف اليها نسبة مساوية ممن يعتبرون "فرانكفونيين ظرفيين" من التعداد العام للسكان(أي ما مجموعه 60%) ، نسبة اقل ما يقال عنها انها كبيرة بالنظر للاستثمارات التي صرفت من اجل التعريب، من جهة أخرى كان بالجزائر بعد الاستقلال حوالي 700000 متمدرس و هي اليوم تعد اكثر من سبعة ملايين تلميذ، أي ان العدد تضاعف بعشر مرات ، في نظام تعليم نصف مفرنس، و أخيرا ترتب الجزائر التي ليست عضوا في المنظمة الفرنكفونية في المرتبة الثالثة من بين البلدان التي تجاوزت عتبة 100000 متعلم للغة الفرنسية..»[48].

3–مؤشرات وزن و أهمية اللغة الفرنسية

ان لحضور اللغة الفرنسية في السوق اللغوية الجزائرية وزن ثقيل بسبب بسط نفوذها على المستوى الاقتصادي و السياسي. فبغض النظر عن الخلفية التاريخية للمرحلة الاستعمارية و الموروث الثقافي اللغوي الذي تلقته الجزائر من فرنسا بعد الاستقلال، فان فرنسا لازالت تعتبر شريكا مهما في المبادلات الاقتصادية مع الجزائر ، و اول مستثمر اجنبي فيها، انها كذلك اول بلد محتضن للجالية ألجزائرية و اول بلد مكون للأطر المغاربية عموما في الخارج. ان العامل الاقتصادي يعد اذن من بين اهم العوامل المؤثرة في قوة او ضعف اللغة وقد أشار كثير من الدارسين الى العلاقة الوثيقة بين اللغة و الاقتصاد اذ ذكرت نانسي دوريان " Nancy Dorian ان :«الولاء للغة يبقى مادامت الظروف الاقتصادية و الاجتماعية تمثل عوامل مساعدة لها، لكن اذا اثبتت لغة أخرى انها تملك قيمة اعظم ، فان تحولا الى اللغة الثانية سيبدأ»[49] ، فقوة اللغة حسب البعض اذن متجذرة في أرضية اقتصادية اكثر مما هو مرتبط بأبعاد حضارية او تراثية، و يرتبط بالعامل الاقتصادي ارتباطا قويا ما يعرف بالوضع الاجتماعي للجماعة اللغوية الذي يعني الوعي الجمعي بقيمة لغة ما، مقابل لغة أخرى . فالفاعلون الاجتماعيون هم على اتم الوعي بقيمة اللغة الفرنسية في سوق

الشغل، كونها لغة الدراسات العليا التقنية و العلمية، و هي الوحيدة المفضية الى المهن الراقية و المربحة كالطب و الصيدلة و الهندسة و المالية...الخ.

وبانتقال الفرنسية في التعليم العمومي من وضع لغة التدريس الى وضع مادة عادية للدرس، فان مستوى الحاصلين على البكالوريات من خريجي الثانويات حاليا بسيط جدا تبعا لهذه الوضعية مما يقلص حظوظهم في الترقي عبر الدراسات العليا المميزة ، فيعتبر بذلك الوضع السائد في سوق الشغل مؤشرا هاما على وزن اللغة الفرنسية في المغارب، مما يترتب عنه ازمة في توظيف خريجي التعليم العالي للتخصصات الأدبية و الإنسانية الاجتماعية. لكن ليست القوة الاقتصادية وحدها ، و لا الوضع الاجتماعي للغة فحسب ، هما اللتان تمنحان اللغة وزنها كلغة مهيمنة ، بل ان التفوق العلمي و السيطرة التكنولوجية هي الأخرى التي تقود المجتمعات المتاخرة في هذا المجال نحو اللغات المهيمنة ، لذلك عرف هذا العصر بعصر اقتصاد المعرفة .

و هكذا يظهر ان تاثير الثقل التاريخي للواقع الاستعماري ، قد اخذ يتلاشى شيئا فشيئا في وعي الناس، و ان الوظيفة الأيديولوجية للخطاب القائل بهذا الثقل التاريخي، قد تحولت الى استراتيجية أخرى تطمح الى الانتقال الى الحداثة و منح القرار للنخب المكونة في المدرسة الفرنسية او الفرانكفونية، و في ذلك كما يرى احمد بوكوس، قرينة على بطلان وهم الحراك الاجتماعي عن طريق المدرسة، و اقتصار وظيفة هده الأخيرة على انتاج النخب و إعادة انتاجها، مثلما هو الحال في كل المجتمعات المستعمرة سابقا ،حيث لم تعد الفرانكفونية تعني كل المتمدرسين، بل تعني فقط النخب المتحظرة ذات الأصول المفرنسة. ان وزن لغة ما يطرح قيمتان دلاليتان متعارضتان، فالقول ان للغة ما وزنا، او انها تمنح وزنا لمستعمليها معناه انها تمثل قوة على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي، فتوفر منافع و امتيازات، و ان لها قيمة إيجابية في منظومة التمثلات الاجتماعية و تجزل الحظوة الاجتماعية، كما ان لها قدرة تنافسية في السوق اللغوية، و بالمقابل ، ان القول ان للغة وزن (عبء) بالنسبة لمستعمليها يعني انها تشكل عائقا بالنسبة اليهم و لا يمكنها الصمود امام اللغات الأخرى في مسرح الصراع اللغوي [50] .فاعمال مفهوم وزن لغة ما في معناه المجازي، يمكننا من تحديد مجموعة من المؤشرات البنيوية الذاتية او الجوهرية للغة، وهي كل ما له صلة بكل من الوضع ، المتن، الوظائف، الاستعمالات و النتاج الثقافي و الترجمة، و مؤشرات ايكولوجية تشمل العوامل المرتبطة بالبيئة [51].ان أهمية وقوة لغة معينة في السياق اللغوي الاجتماعي ، لا تنتج من قيمتها اللغوية الداخلية بقدر ما تنتج من وظيفتها باعتبارها أداة للتواصل في المجالات الحيوية اليومية التي تعني الناطقين بها.

إن الوضع اللغوي التراتبي السائد في الجزائر والمتسم بتنافسية اللغات، خلفته الحقبة الاستعمارية و ضاعفت النخبة السياسية من وجوده، وادى بدوره الى خلق نوع من التمايز الاجتماعي بين افراد المجتمع مادامت اللغة الفرنسية لغة خاصة بالطبقة المحظوظة ذات راس المال الثقافي المهم. كما ان المنظومة التعليمية – التي تولي اللغة اهمية بالغة الخصوصية في النجاح المدرسي و منه المهني و التي تتشابه اللغة المستخدمة فيها (كاللغة الفرنسية) مع تلك المستخدمة في الاوساط الاسرية الراقية – تعمل على اعادة انتاج بنية التفاوت الطبقي القائم عن طريق اواليات الاصطفاء النخبوي الاجتماعي، لذلك نجد ان العديد من اللغويين و علماء الاجتماع يؤكدون على وظيفة اللغة التصنيفية للمجتمع الى طوائف او قبائل او طبقات.

قائمة المراجع

1- المنظمة الدولية للفرانكفونية، اللغة الفرنسية في العام2014، تر: ليل هلالي، دار ناتان للنشر، باريس،ص03.

2-Cuq jean pierre ;Isabelle Gruca,Cours de didactique du français langue étrangère et second, Presses universitaires d Grenoble , France , 2005 ,pp39-94.

3-Ibid.p95.

4-Bourdieu Pierre, Ce que parler veut dire :l'économie des échanges linguistiques, Ed Fayard, Paris,1982,p16.

5-Ibid,pp103-105

6- بيير بورديو ، الرمز و السلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب، ط 2،2007،ص58.

7- Bourdieu Pierre, Questions de sociologie,Ed Minuit,Paris,p125.

8- مفكر فرنسي من مواليد الجزائر من اكبر المختصين في المسالة اللغوية في المغرب العربي عموما و الجزائر خصوصا ، فبالرغم من محاولته الالتزام بالموضوعية العلمية ، يعتبر من ابرز انصار النخب المفرنسة و الامازيغية في الجزائر، يصنف ضمن فئة الاقدام السوداء ، أي المعمرين من أصول أوروبية الذين غادروا الجزائر بعد الاستقلال و لان المجتمع الفرنسي لم يستقبلهم كفرنسيين من نفس مستوى الفرنسيين المقيمين في فرنسا، فإنهم ظلوا دائما يشعرون بأنهم جزائريون ، ومن ثمة ظلوا دائما أوفياء للفكر الكولونيالي فيما يخص المسالة اللغوية.نقلا عن طيبي غماري،اللغة المدرسة و الهوية الوطنية الجزائرية،دار كوكب للعلوم و النشر و التوزيع و الطباعة،الجزائر،2016، الهامش 01 ص38

9- لويس جان كالفي، حرب اللغات و السياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي حمزة ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 89.

10- صالح بلعيد، «اللغة الام و الواقع اللغوي في الجزائر»، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد التاسع، خريف 2003، ص 137.

11- احمد بوكوس، مسار اللغة الامازيغية : الرهانات و الاستراتيجيات ، تعريب: فؤاد ساعة، مراجعة: الحسين المجاهد و الوافي النوحي، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، الرباط، 2013، ص 32.

12- علي اسعد وطفة ،«اشكاليات العربية و قضايا التعريب في جامعة الكويت لعينة من طلاب جامعة الكويت، سلسلة الإصدارات الخاصة، العدد 49،الكويت ، اوت2014 ، ص45.

13- شلوف حسين، التعدد اللغوي في التخطيط التربوي الجزائري بين الواقع و الافاق، اعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي،3.4.5 ديسمبر 2012، الجزء الثاني،ص48.

14- المرجع نفسه، ص68.

15-Khaoula Taleb Ibrahimi, Les Algeriens et leurs Langues :élément pour une approche sociolinguistique de la société Algerienne ,2ime Edition,Les Editions EL Hikma ,Alger,1997,p40.

16- احمد بوكوس، مرجع سبق ذكره، ص 19.

17- لويس جان كالفي، مرجع سبق ذكره، ص (397-399).

18- مراد عميروش و دليلة صاحبي،«اراء الباحث الجزائري الأستاذ الدكتور صالح بلعيد في مسالة التخطيط اللغوي من خلال مؤلفاته و دراساته» ، اعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، 03-04-05 ديسمبر 2012، ج2، ص 268.

19- لويس جان كالفي، حرب اللغات و السياسات اللغوية، تر:حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، ط1،بيروت ،2008، ص78.

20- المرجع نفسه، ص79.

21- عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص 104 .

22- ميشال زكريا، قضايا السنية و تطبيقية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993، ص35-36.

23- صالح بلعيد ،«التهجين اللغوي، المخاطر و الحلول»، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد24 ، 2010، ص 19.

24- مراد عميروش و دليلة صاحبي، مرجع سبق ذكره، ص 267-268.

25- طيبي غماري، اللغة، المدرسة و الهوية الوطنية الجزائرية، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2016، ص98.

26- المرجع نفسه ، ص89.

27- المرجع نفسه، ص102.

28- الجريدة الرسمية الجزائرية، القانون 05/91 الصادر في 16/جانفي/1991، العدد الثالث، المادة الأولى، ص 45.

29- طيبي غماري، مرجع سبق ذكره، ص 95.

30- المرجع نفسه ص96.

31- الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، النشرة الرسمية للتربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية، رقم 04/08 مؤرخ في 2008/01/23 ،عدد خاص، فيفري 2008، ص13.

32- احمد بناني، حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللسان العربي في الجزائر، اعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي 3-5 ديسمبر 2012، الجزء الثاني،ص33.

33- احمد بوكوس ، مرجع سبق ذكره، ص18.

34- pierre Bourdieu, Ce que parler veut dire l'économie des échanges linguistiques, Ed Fayard, Paris,1982 , p107

35- بيير بورديو، الرمز و السلطة، مرجع سبق ذكره ،ص59

36 - احمد بوكوس ، مرجع سبق ذكره، ص25

37- المرجع نفسه، ص23

38-اللغة الفرنسية في مواجه طلب متزايد في الجزائر: موقع الكتروني www.ambafrance.dz.org

39-المصدر نفسه .

40- يرى بيير بورديو ان علة تفسير فعالية الكلام و بالتالي قوة اللغة ليست مستمدة من فعالية المادة اللغوية في حد ذاتها و انما مستمدة من خارجها، انظر:بيير بورديو ، الرمز و السلطة، مرجع سبق ذكره، ص58

41 - بيير بورديو، مسائل في علم الاجتماع، تر: هناء صبحي، مراجعة فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة، ط1،2012،ص174.

42 -Gilbert Grandguillaume,Les enjeux d'une politique linguistique , actes du colloque de l'association Mémoire de la Méditerranée,Sorbonne,14 novembre2001,Paris,p101.

43- احمد بوكوس ، مرجع سبق ذكره، ص37-38

44- نفس المرجع، ص 40-41.

45-طيبي غماري، مرجع سبق ذكره،ص119.

46-المرجع نفسه،ص119.

47- طيبي غماري، مرجع سابق، ص102.

48- المرجع نفسه، ص 102.

49-لطيفة النجار،«اللغة العربية بين ازمة الهوية و إشكالية الاختيار»،مجموعة مؤلفين، اللغة و الهوية في الوطن العربي، إشكاليات تاريخية و ثقافية و سياسية، المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسات،ط1،بيروت، يناير2013، ص215.

50- احمد بوكوس ، مرجع سبق ذكره، ص49-50.

51- نفس المرجع،ص 52.